قصيدة اللافتة
احمد مطر* انموذجاً

د. رفل حسن طه
كلية التربية / جامعة كربلاء

م.م.ذكريات طالب حسين
كلية العلوم / جامعة كربلاء

الخلاصـــــة :-

يحاول البحث دراسة شكل من أشكال الكتابة الشعرية يمكن تسميته بقصيدة (اللافتة) ، وقد وقف البحث عند أول من كتب عن هذا الشكل الشعري ، و بيّن آراء النقاد العرب فيه ، وشرح جذوره ، وفصّل في ميزاته والغاية منه ، ثم اتخذ من (أحمد مطر) انموذجا ًتطبيقياً يوضح من خلاله كيف وظف الشاعر العربي هذا اللون من الشعر ليوسع من دائرة الدلالات الفنية ، وعده تجديداً في شكل الشعر العربي و اسلوبه .

Abstract

This research study a form of writing poetry can be called the poem (of sign) this research stop at the first one writing in this poetical form illustrate the Arabic critics views of this form expounded it is roots and classified in itis features and the limit of it so that I am taken (Ahmed Matar) as apractical sample to explain from him how the Arab poet takes on this poetical form to widen the artistical meanings circle and deem it the renewal in the Arabic poet and it is style

المقدمـــــة :-

خلص الدكتور طه حسين من الدراسة التي أجراها في كتابه (جنة الشوك) عن فن الابيغرام إلى ((انه لون من الوان الشعر الهجائي ، يقصد به إلى القصر والخفة والحدة ليكون سريع الانتقال ، يسير الحفظ ، كثير الدوران على ألسنة الناس ، يسير الاستجابة إذا دعاه المتحدث في بعض الحديث ، أو الكاتب في بعض ما يكتب ، أو المحاضر في بعض ما يحاضر ، ثم ليكون مضحكا للسامعين والقارئين بما فيه من عناصر الخفة والحدة والمفاجأة ، ثم ليكون بالغ الأثر آخر الامر في نفوس الافراد والجماعات ، يدفعهم إلى ما يريد أن يدفعهم إليه من الخير ، ويردهم عما يريد أن يردهم عنه من الشر في غير شفقة ظاهرة أو جهد عنيف)) [1] .

ويظهر أن الدكتور طه حسين هو أول من أ شار إلى هذا اللون من الشعر القصير** الذي تميز عنده بالقصر والتأنق في اختيار الألفاظ حيث ترتفع عن الألفاظ المبتذلة دون أن تبلغ رصانة اللفظ الذي يقصد إليه الشعراء الفحول في القصائد الكبرى. وقد اضاف إليه ميزة اخرى تتعلق بالمعنى الذي يجب أن يكون اثراً من آثار العقل والارادة والقلب جميعا .. [2]

وإذا كان طه حسين قد أطلق على هذا الشكل من الشعر اسم (ابيغرام Epigram) فالابيغرام((قصيدة قصيرة مختتمة بفكرة بارعة أو ساخرة))[3]

عرفها كوليردج ((بأنها كل قزمي ، جسدها الإيجاز وروحها الدعابة الذكية)) [4] وربما كانت تعني ((كتابة منقوشة تهدى أو تكتب على شاهد قبر)) [5] وغالبا ما كانت هذه النقوش تأخذ طابع الحكمة الذي يعبر فيها عن ((فكرة ما بطريقة بارعة أو موهمة للتناقض)) [6] ثم ما لبثت أن تحولت في القصائد إلى لغة السخرية والهجاء المقذع ، ولعل ذلك ما جعل من هذا الفن شكلاً مناسبا للهجاء السياسي والسخرية المضحكة المؤلمة في كثير من الاحيان فيما يشبه اللافتة التي يعلن فيها الشاعر استنكاره ورفضه لكل السلبيات التي تعتري المجتمع وتهين الانسان وتذله وتسلبه حريته ..

وربما كان الدكتور عز الدين اسماعيل على وعي بهذا الشكل من الكتابة الشعرية ، وان لم يشر صراحةً إلى مصطلح (الابيغرام) بل ذكر مصطلحا آخر هو (القصيدة القصيرة) وعرفها بانها تلك القصيدة التي ((ينتظمها خيط شعوري واحد ، يبدأ في العادة من منطقة ضبابية ثم يتطور الموقف في سبيل الوضوح شيئا فشيئا حتى ينتهي إلى افراغ عاطفي ملموس)) [7] وهذا ما يجعل من القصيدة ((كأنها دائرة مغلقة تنتهي حيث تبدأ)) [8] وعلى الرغم من انه يجد قاسما مشتركا بينها وبين القصيدة التقليدية في الموقف العاطفي لكنه يرى فروقا من ناحية اللغة والصور والرموز ونوعية التجربة وصدقها [9]

بيد ان الدكتور عز الدين اسماعيل كان اكثر وعيا بهذا الفن الشعري ، عندما مارس كتابة الابيغرام في ديوانه(دمعة للاسى .. دمعة للفرح) ، وقد اختار أن يمهد لمجموعته الشعرية بمقدمة تحدث فيها عن خصوصية النصوص الشعرية في تلك المجموعة والنوع الذي تنتسب إليه وهو ما يعرف في اللغات الاوربية بـ (الابيغراما) لكنه – في تلك المقدمة – يورد المقومات التي حددها د. طه حسين في كتابه (جنة الشوك) لهذا الفن ، ويتفق معه في أن هذا الفن كان معروفا في الادب العربي متمثلا في الادب العباسي على وجه الخصوص ، لكن اصحابه لم يكونوا على وعي بخصوصية هذا الفن حتى قدم له د. طه حسين بمقدمة تدل على معرفة بأصول هذا النوع الادبي وشروطه الفنية ..

ثم يختم د. عز الدين اسماعيل دراسته قائلا : ((اذا كان طه حسين قد قدم الابيغراما النثرية فإنني اعيدها إلى الشكل الشعري مقدما منها مائه وستا واربعين ابيغراما ..)) [10]

أما عز الدين المناصرة فقد كان أكثر دقة في اطلاق تسمية (اللافتة الشعرية) على هذا اللون من الكتابة ، حينما أشار إلى أن قصيدة اللافتة هي غالباً ((سطر شعري مكثف ، له ملامح (الحكمة) و (الخلاصة) بعد تأمل تجربة ما))[11] وهو يشبهها بشعر الحكمة في الموروث ، إذ تمتاز بالكثافة والتركيز والعقلانية التي تولد من التأمل الفكري الشعري الفلسفي[12]،لذا فإن الابداع في قصيدة اللافتة كما يرى د.حسن فتح الباب لايتأتى إلا بعد تمرس فني وفكري طويل ،وهو ثمرة موقف يجد الشاعر فيه نفسه في مفترق طرق يصعب معها الاختيار ، حتى إذا حانت لحظة التفجير اندفع الباطن من مكمنه الشعوري الخفي كالرصاصة الثاقبة في كلمات جد قليلة ولكنها جد ثرية وعميقة [13]، وقد عبر عن هذا المفهوم سعيد بن زرقة عندما ذكر أن من خصائص قصيدة اللافتة أنها تبدأ ((بالتأزم ثم تأتي في نهايتها مرحلة الانفراج أو لحظة التنوير))[14].

وإذا كانت قصيدة اللافتة من ((الشعر الخفيف)) [15] الذي يرد في ايجاز بليغ ويختم بفكرة ضاحكة موهمة بالتناقض، فقصائد احمد مطر لا تبتعد عن هذا النوع من الشعر ، واقصد من ذلك أن قصائده اشبه باللافتة التي يحملها المتظاهرون من حيث الايجاز والموقف المحدد والهدف التحريضي ، يقول احمد مطر في قصيدة (عاش .. يسقط)

هُزي إليك بجذعِ مؤتمرٍ
يُساقط حولك الهُذرُ :
عاش اللهيبُ
.. ويسقطُ المطرُ ! [16]

يستثمر الشاعر صوت الثورة ليرفع من خلاله شعارا يعري من خلاله المؤتمرات العربية العقيمة التي لا تعطي لشعوبها سوى (الهذر) الذي لا فائدة ترتجى منه فلا مناص ، إذن ، من الثورة لتغيير ذلك . ويلاحظ في النص اللافتة الشعاراتية التي رفعها الشاعرفي قوله:

(عاش اللهيب . . ويسقط المطر) فاللهيب هو الثورة التي ستحرق الطواغيت ومؤتمراتهم الفارغة بالقوة والكفاح المسلح .

من هنا تبرز المفارقة في اللافتة السابقة بين (عاش) و (يسقط) وبين (اللهيب) نار الثورة و(المطر) الماء الذي يجلب الخير والنماء ، بيد أن المقصود معنى آخر ، فالشاعر يشير إلى سقوط الطواغيت من خلال نار الثورة ولهيبها ، وقد ساعد في ذلك التنافر بين عاش ويسقط .

إن تأمل قصائد احمد مطر يفضي إلى صورة التمرد ، فقصائده اشبه ما تكون بمظاهرة حاشدة ضد السلطة والانظمة القمعية ، هدفها اسقاط الطواغيت وكشف السلطات الحاكمة وتعريها ولاسيما في الوطن العربي ، ولعل انشغال الشاعر بالقضايا السياسية هو الذي فرض عليه هذه الصياغة، فكانت لافتاته تتسم بالتكثيف والاختزال ، كما أنها لا تخلو من الصور التهكمية اللاذعة والهجاء الحاد والسخرية المرّة .

إن انتهاء الشاعر إلى هذه الصياغة جاء نتيجة العمل السياسي الذي مارسه ، وصراعه مع السلطة ، ويبدو أن معركته مع السلطة هي التي جعلته يمارس كتابة (اللافتة)، فهو يرى : ان القصيدة التي لا تتعدى موضوعا واحداً ، والقصيدة التي تأتي كلها في بيت واحد ، تخدم الموضوع من ناحية الصياغة ، وتشحنه بطاقة فنية تجعله سريع الوصول ، سريع التأثير ، دائم الحضور بين الاذهان .[17]

من هنا يمكن القول أن احمد مطر في لافتاته يبحث عن تأويل للاشياء من خلال الاعتماد على الكثافة والتركيز في النصوص محققا بذلك الدهشة الشعرية .

وفي اطار متابعة قصيدة اللافتة في نصوص احمد مطر ، يمكن رصد جوانب مهمة في لافتاته وموضوعات واساليب كانت دعائم قوية تسند هذا اللون الجريء من الشعر ، منها :

- **لافتة الحكمة**

تتميز قصيدة اللافتة بأنها ((حكمة معبرة عن فكرة ما))[18]باسلوب موجز زاخر بالمعنى ، وغالبا ما يختم بفكرة ساخرة أو متناقضة ، وهو ما تميزت به نصوص احمد مطر ، ويمكن ملاحظة ذلك في قصيدة (حكمة) وفيها يقول :

قـال أبــي :
في أي قطر عربي
ان اعلن الذكي عن ذكائه
فهو غبــي ! [19]

يقدم الشاعر النص باسلوب الحكاية (قال أبي :) والحكاية هنا على لسان الاب ، الذي يثير تساؤلاً (في أي قطر عربي . . إن اعلن الذكي عن ذكائه . . فهو غبي) بيد أن السؤال مخادع يثير لغزا يستطيع أن يدركه المتلقي من خلال اضاءة اللغز من نهاية القصيدة ، وان جاء اللغز من دون حل . لكن يمكن ادراك الهجاء المبطن وراءه . . .
يمكن أن تقدم الحكمة في لافتات احمد مطر ((صورة مصغرة لموضوع كبير)) [20] كما في لافتة (اضاءة) التي يقول فيها :

يُخيمُ الصباح
فارفع الستار عن نافذتي
واشعل المصباحْ ! [21]

إن تأمل اللافتة السابقة يفضي إلى ملاحظة التناقض الواضح الذي تثيره عبارة (يخيم الصباح) و ما فيها من مفاجئة وادهاش حين ندرك أن الذي يخيم هو (الليل) وليس الصباح وبين (ارفع الستار) و (أشعل المصباح) ناهيك عن التناقض مع عنوان اللافتة نفسها (اضاءة) وهذا كله يعكس ما بداخل الشاعر من غضب وامتعاض من الواقع المفروض .
من هنا يمكن القول أن اللافتة تقدم رؤية شاملة للواقع باسلوب مركز يعكس مشاعر انسانية خاصة، لكنها في الوقت نفسه تمثل الالم المرتبط بكل انسان وفي كل زمان ومكان ،فاللافتة من الحكم المطلقه التي تتسم بنظرة شاملة للكون والحياة[22]

ومن لافتات أحمد مطر التي تتسم بـ(خلاصة الحكمة والجدل) [23] (تهمة) :

ولد الطفلُ سليماً
ومعافــى
طلبوا منه اعترافاً ! [24]
نخلص من ذلك إلى أن لافتات احمد مطر تشبه إلى حد كبير شعر الحكمة في الموروث العربي القديم ، لكنها تمتاز بالايجاز والاختزال الذي يولد بعد تأمل فكري عميق . .

- **اللافتة الفلسفية**

يقصد باللافتة الفلسفية ((البحث عن خلاصة فلسفية تأويلية للاشياء))[25] كما في لافتات احمد مطر ، ومنها قوله في (يقظة) :

صباح هذا اليـومْ
ايقظني منبه الساعهْ
وقال لي : يا ابن العربْ
قد حان وقتُ النومْ ! [26]
يشير منبه الساعة إلى الاستيقاظ صباحاً والذهاب إلى العمل ، بيد أن المجتمع العربي الذي لايحترم الوقت يتساوى في نظره الليل والنهار ، إذ ينقضي بالنوم ، هكذا تمضي الحياة وهم في هذه الحال .
إن مفردات اللافتة السابقة تدل على اليقظة والتنبه (صباح ، ايقظني ، منبه الساعه) لكنها في الحقيقة تشير إلى معنى بعيد يمكن تأويله بالغفلة التي تعيشها المجتمعات العربية التي لا تتنبه الى كل ما يحاك ضدها من مؤامرات .
لذا فقد فاجأت اللافتة السابقة المتلقي بهذا المعنى المغاير من خلال مفردة النوم في (قد حان وقت النوم)
ويمكن ملاحظة هذا المعنى أيضا في لافتة (بلاد ما بين النحرين) التي يقول فيها :

يباع السلاحُ لقتل الشعوب
ويشرى السلاحُ بقوت الشعوب[27]
إن فلسفة اللافتة السابقه تقوم على القوة المدمرة التي هدفها قتل الانسان (الشعوب) متمثله بـ(السلاح)، بيد أن هذا السلاح الذي يباع (لقتل الشعوب) (يشرى بقوت الشعوب) نفسها ، وهذه الحقيقة المرة التي تؤذي الشعوب وتدفع حريتها ثمنا لها قدمها أحمد مطر بصورة مصغرة موجزة لمضمون الفكرة الفلسفية .
وفي لافتة (الساعة) يقدم احمد مطر خلاصة رؤيته الفلسفية للزمان ، إذ يجعل من الساعة دائرة ضيقة لايجد الهارب منها مخرجاً ، إذ يبقى محبوساً في اضيق مكان في الدائرة تطارده عقاربها في اشارة إلى المخبرين الذين يتعقبونه في كل مكان .

دائرة ضيقة ،
وهارب مدان
أمامه و خلفه يركض مخبران .
هذا هو الزمان ![28]

وفي لافتة (انهيار المملكة) يقول :

كبرت دائرة المأساة
كبرت دائرة المأساة
كبرت ..
كبرت ..
حتى ضاقت !
كيف احرر ذاتي
وانا معتقل في الذات ؟[29]

تقدم اللافتة السابقة المأساة في اطار فلسفي موجز ، فالمأساة تتسع و تتسع حتى تضيق آفاق النجاة ، ولعل تكرار الفعل اعطى بعداً خيالياً بعمق المأساة ومرارتها ساعد في ابراز حدة المفارقة بين كبر المأساة وضيق مساحة الحل وبين حرية الذات واعتقالها .

وفي لافتة اخرى يقول :

امريكا تطلق الكلب علينا
وبها من كلبها نستنجد !
امريكا تطلق النار لتنجينا من الكلب
فينجو كلبها .. لكننا نستشهد !
امريكا تبعد الكلب .. ولكن
بدلاً منه علينا تقعد ! [30]

يقدم احمد مطر صورة الاستعمار الجديد ولكن في اطار فلسفي يقوم بابراز التناقض بين واقع وهمي وآخر حقيقي ، فامريكا التي (تطلق الكلب) لـ (تنجينا) في الواقع تطلقه لتقتلنا ، وامريكا التي (تبعد الكلب) في الواقع تستعبدنا وهذه قمة السخرية المرة .

- **اللافتة الجماعية**

يعمد أحمد مطر في نصوصه إلى نوع من اللافتات يمكن تسميته بـ(اللافتة الجماعية) التي يخاطب فيها الجماهير محرضاً وناقداً ومنبهاً كما في (أنصاف الانصاف) وفيها يقول :

الأسى آسٍ لما نلقاهُ
والحزن حزين
نزرع الارض . . ونغفو جائعينْ
نحمل الماء . . ونمشي ظامئينْ [31]

تحرض اللافتة السابقة الجماهير على الثورة ولا سيما الجماهير الكادحة التي (تزرع) ولا تحصد ثمرة ما تزرع ، و (تسقي) ولكنها تمسي ظامئة . .

فالنص أشبه بالمظاهرة الجماهيرية الحاشدة التي ترفع شعارات (الحزن والاسى) للواقع الذي ترزح فيه .

إن هذا النوع من لافتات أحمد مطر يقودنا الى شكل آخر يمكن تسميته بـ : اللافتة الشعاراتية كما في نص (الوصايا) الذي يشكل كل مقطع منه لافتة شعاراتية تحريضية ، من ذلك قوله :

انتبه عند الاشارة
لا تقف حتى إذا احمرّتْ
إذا كنت قريباً من سفارهْ [32]

- **لافتة السخرية**

تعد السخرية لازمة من لوازم قصيدة اللافتة ، فالسخرية التي هي من ((أرقى أنواع الفكاهة، لما تحتاج إليه من ذكاء وخفاء ومكر)) [33] تقوم في جوهرها ((على نوع من الايجاز البليغ الذي يخفي وراءه نقداً لاذعاً)) [34] وهو ما تحتاج إليه قصيدة اللافتة . . .

يعتمد أحمد مطر في كثير من لافتاته على السخرية لما يمتلكه من حس ساخر قوي يستطيع من خلاله تصوير ((مثالب الناس وعيوبهم ونقائصهم ومظاهر ضعفهم في اطار فني ينطوي على انسجام معكوس)) [35]

ويمكن ملاحظة لافتة السخرية في قصيدة : (خطاب تاريخي) وفيها يقول :

رأيتُ جرذاً
يخطبُ اليوم في النظافةْ
وينذرُ الاوساخ بالعقابْ
وحولهُ
. . يصفقُ الذبابْ ! [36]

تشكل اللافتة السابقة نقدا ساخرا من بعض الصور التي يزخر بها الواقع الانساني ، إذ يعتمد الشاعر في تقديمها على التخيل الذي يقوم على المغالطة التركيبية للصورة المراد انتقادها والسخرية منها ، ويلاحظ ذلك في تحول الصفة الانسانية إلى صفة غير انسانية من خلال التوجيه إلى أهمية النظافة ، ولكن على لسان(جرذ) لا يتسم هو نفسه بهذه الصفة وما زاد من حدة السخرية أن من يصفق حوله (الذباب) . . إن هذا التحول أو الانتقال إلى الصفة اللاانسانية المقرفة التي يتميز بها بعض الاشخاص وفي حديثهم فيما ليس لهم فيه علم أو دراية أو قرب منه حتى ، واستجابة الآخرين لذلك الزيف بالنفاق (يصفق الذباب) يعطي لتلك اللافتة خصوصية السخرية والاستهانة في الوقت نفسه تُصبح الصورة أكثر (اضحاكاً) [37] لما أظهره الشاعر من تنافر لابراز العيوب لبعض النماذج البشرية عن طريق تشويه صورة تلك النماذج وبشكل موجز مما يجعل من الصورة الساخرة مضحكة إلى أبعد الحدود .

ويمكن أن تأخذ اللافتة عند أحمد مطر شكلا هجائيا ولكنه ساخر في الوقت نفسه . فمثلا في (مشاتمة) يقول :

قال الصبي للحمار : (يا غبي)
قال الحمار للصبي :
(يا عربي) : [38]

يعتمد الشاعر في النص السابق على اسلوب الحوار المباشر الذي يدور بين الصبي والحمار ، ويظهر من صيغة الحوار غير المتكافىء الدلالة النقدية البعيدة القصد ، فالمقصود المجتمع العربي بكل تقاليده وسلبياته وعيوبه .

وعلى الرغم من استعمال الشاعر لكلمتي (غبي) و (عربي) وما فيهما من دلالة معنوية لا تخلو من هجاء مقذع*** بيد أنهما حققتا للنص سخرية استطاعت أن تنبه القارىء إلى المعنى الحقيقي الذي يريده الشاعر، وهذا يتحقق إذا ما ربطنا اللافتة السابقة بعنوانها (مشاتمة) . .

إن اعتماد الشاعر على الحوار الساخر يأتي منسجماً مع الفكرة التي يريد تقديمها ، ولا سيما عندما يكون الحوار داخلياً يثير صراعاً فكرياً كما في (أقسى من الاعدام) :

- **الاعدام أخف عقاب**
  يتلقاه الفرد العربي
- **أ هناك أقسى من هذا ؟**
- **طبعاً**
  فالاقسى من هذا
  أن يحيا في الوطن العربي ؟[39]

يحاول الشاعر في اللافتة السابقة تقديم صورة عن معاناة (الفرد العربي) مختصراً هذه المعاناة والاسباب الحقيقية لذلك الصراع بين الفرد العربي والسلطات الحاكمة من خلال اسلوب الحوار الذي ينشأ من قضية فكرية يقدمها الشاعر بإيجاز يلاحظ من مفردات اللافتة ، فالاعدام الذي هو أقسى عقوبة يغدو في نظر الفرد العربي (أخف عقاب يتلقاه) ، لذا فالشاعر يرى أن أقسى عقوبة هي الحياة في الوطن العربي .

وتظهر السخرية من خلال اسلوب الحوار الذي يتعامل معه الشاعر ، فبين بداية الحوار (الاعدام أخف عقاب) وبين ختام الحوار (أقسى من هذا أن يحيا في الوطن العربي) يثير الشاعر سخرية مضحكة لكنها ضحك كالبكاء .

من هنا يمكن القول أن قصيدة اللافتة عند أحمد مطر تعتمد في جوهرها على السخرية ولا سيما ((عندما يضفي على صورة المسخور منه لمسات ساخرة سواء في الشكل والمظهر أو التفكير الذهني والعلمي))[40]

- **لافتة النهاية المفاجئة**

يركز احمد مطر في لافتاته على ختامها ، فهو يجد أن وقع ذلك في النفس ابلغ ، إذ تعتمد نهايات لافتاته على عنصر المفاجئة الممزوج بروح النكتة والسخرية المؤثرة ، ويعد ذلك عنصراً مهماً من عناصر قصيدة اللافتة[41] ، يقول مطر في (مسألة مبدأ) :

قال لزوجه : اسكتي
وقال لابنه : انكتم
صوتكما يجعلني مشوش التفكير
لاتنبسا بكلمة
اريد أن اكتب عن
حرية التعبيرْ ! [42]

في اللافتة السابقة تبرز مفردات (اسكتي ، انكتم ، لاتنبسا) وكلها تشير إلى تقييد الحرية والحد منها ، لكن المفاجئة تأتي في ختام اللافتة من خلال الدعوة (لحرية التعبير) ، وهنا يظهر التناقض الواضح بين قتل الحرية واطلاقها ، وقد ساعد في ذلك مداهمة المتلقي في نهاية اللافتة ((في خفة ورشاقة لا تكاد تحس)) [43]

وفي لافتة اخرى يستمد احمد مطر قصة أصحاب الكهف التي وردت في القرآن الكريم ليقلب معناها ويفاجيء بها المتلقي في نهاية تعكس صورة الواقع السياسي في الوطن العربي ، إذ لا مهرب من السلطات فأينما يلجأ المواطن يجد مخبر يترصده :

ولما اوى الفتية المؤمنون
إلى كهفهم
كان في الكهف من قبلهم مخبرون ![44]

- **لافتة الخبر**

قد تقترب لافتات احمد مطر في بعض الاحيان من اسلوب الخبر الصحفي ، ومع أن الخبر الصحفي ((والشعر يكادان يكونان نقيضين ، وجمعهما فنياً يحفز الذهن لما فيه من تقاطع الاضداد))[45] لكن مطر يعتمد في تقديم الخبر على الايجاز ، بيد أنه ((على عكس الممارسة الصحفية يصعدّه إلى أن يصل إلى نهايته المفاجئة)) [46] كما في لافتة (التقرير) وفيها يقول :

كلب والينا المعظم
عظني اليوم ، وماتْ !
فدعاني حارس الامن لأعدمْ
بعدما اثبت تقرير الوفاةْ
أن كلب السيد الوالي
تسمّمْ ! [47]

يلاحظ في اللافتة السابقة أن الخبر امتزج بروح السخرية المرّة ، ومما عمق روح السخرية النهاية المفاجئة التي اضفت على الخبر قيمة شعرية رفعته من مستوى الصحافة إلى مستوى الادب ، ذلك أن الشاعر اعتمد في تقديم الخبر على اثارة القارىء من خلال تقديمه للخبر من وجهة نظره ورؤيته له .

- **اللافتة داخل القصيدة**

تتميز أغلب لافتات احمد مطر بأنها قصائد قصيرة داخل القصيدة ، بيد أن هذه اللافتات وان استقلت عن القصيدة الام تظل تلك القصيدة في حاجة اليها ولا يكتمل المعنى إلا بها ، في حين تظل تلك اللافتات محافظة على استقلاليتها وكأنها اعلان أو منشور سياسي ، كما في قصيدة (الوصايا) إذ يبني الشاعر القصيدة على شكل مقاطع كل مقطع يستقل بمعناه ويشكل لافتة قصيرة:

فدع المصباح مشبوباً
لكي تدرأ عنك الاتهام !
ياصديقي
كل فعل في الظلام
هو تخطيط لاسقاط النظام ![48]

يصور الشاعر في اللافتة السابقة مبالغة الحكام العرب في قمع الحريات ، ويظهر ذلك جلياً في الخوف من المواطنين البسطاء والغافلين الذين يدفعون ثمن غفلتهم بسلبهم حريتهم التي تبالغ بها الانظمة الحاكمة .

احترم حظر التجول
لاتغادر غرفة النوم
إلى الحمام ليلاً ،
للتبول ! [49]

ويستمر الشاعر في ابراز صورة القمع والغاء الحريات مبيناً وضع المواطن العربي في شكل ساخر :

لاتمت منتحراً
لاتسلم الروح لعزرائيل
في وقت الوفاة
ليس من حقك
أن تختار نوعية أو وقت الممات
انتبه
لاتتدخل في اختصاص السلطات ![50]

من هنا يمكن القول أن القصيدة لا تكتمل من دون تلك اللافتات التي تقود الشعب إلى رفع شعار الثورة والتمرد ، وهو مايميز قصائد مطر .

- **لافتة الصورة**

حرص احمد مطر في لافتاته على تقديم الصور الواقعية التي تتسم بالوضوح وتبتعد عن الغموض ، لكنها تختزل الكثير من المعاني مما يمنح المتلقي ابعادا أعمق من ناحية المعنى والمضمون ، فمثلا في (طبيعة صامتة) يقول :

في مقلب القمامة
رأيت جثة لها ملامح الاعراب
تجمعت من حولها ((النسور)) و ((الدباب))
وفوقها علامة
تقول : هذه جيفة
كانت تسمى سابقا .. كرامه ![51]

يظهر عنصر التضاد واضحا بين (جثة ... الاعراب) في (مقلب القمامه) و الكرامة الضائعة ، إذ أن اللافتة السابقة تخفي وراءها صورة الواقع العربي الممزق بين قوتين (النسور) و (الدباب) [52]تتحكم بمصيره وتنهشه لتتركه (جيفة) ممزقة .
ويلاحظ في اللافتة اللغة السهلة الواضحة المعبرة عن نقد ساخر للواقع العربي ، فالصورة تثير الضحك لكنه ضحك مر كالبكاء، يرمي من خلالها الشاعر أن يقدم نقدا لاذعا للواقع العربي بابشع الالفاظ والصور .
وفي لافتة اخرى يعتمد الشاعر في تقديم صورته على تراسل الحواس ، إذ يقول في (على باب الحضارة) :

فما بيننا ألف باب وباب
عليها كلاب الكلاب
تشم الظنون وتسمع صمت الاشاره
وتقطع وقت الفراغ بقطع الرقاب ! [53]

يرسم الشاعر صورة مؤلمة لممارسات الانظمة العربية في قمع الانسان العربي فهي (تشم الظنون) و (تسمع الاشاره) فكانت حاستي الشم و السمع قادرة على رسم صورة مضحكة يبرز من خلالها الواقع المؤلم للشعوب العربية .
وضمن الاطار نفسه يقدم الشاعر صورة للتناقض بين الامل واليأس ، فهو يقلب (الامل) بالزمن القادم إلى(يأس) يعتريه :

لي أمل خبأته للزمن العابس
أدعوه : هل أنت هنا ؟
يجيبني : نعم ، هنا
لكنني يائس ![54]

وفي لافتة اخرى يقول :

وطني مازال ملقى
مهملاً فوق الرصيف
غارقاً في سكرات الموت
والوالي هو السكين
.. والشعب نزيف ![55]

يلاحظ في اللافتة السابقة أن الشاعر يعطي للوطن صفاتاً انسانية ، فالوطن انسان ملقى ومهمل فوق الرصيف ، يعيش انفاسه الاخيرة ويغرق في سكرات الموت ، صورة لمأساة الوطن سببها السلطة (الوالي هو السكين) والضحية الشعب .
وقد يقدم الشاعر (صورة كلية) للواقع السياسي في الوطن العربي ومطاردة السلطات للمواطن العربي حتى في لحظات مفارقته لهذا العالم ، إذ تقوم أجهزة المخابرات بتأبينه كما تقوم بتزييف الحقائق ، ويظهر الشاعر محاصرة الأجهزة القمعية لحرية الفرد وملاحقته حتى آخر نقطة عندما يوضع في التابوت مبررة ذلك في لباس التأبين واحترام المواطن ، وهو يقدم هذه الصورة في ايجاز بليغ يخفي وراءه صورة قمع الحريات :

حين أموت
وتقوم بتأبيني السلطه
ويشيع جثماني الشرطه
لا تحسب الطاغوت
قد كرمني
بل حاصرني بالجبروت
وتتبعني حتى آخر نقطه
كي لا أشعر أني حر
حتى و أنا في التابوت ![56]

- **عناوين القصائد (لافتات)**

تشكل عناوين قصائد احمد مطر لافتات قصيرة بما تتسم به من الايجاز والاثارة ، فمطر يعلن في أكثر من مناسبة أن قصائده تعبر عن مظاهرة حاشدة ، وعناوين تلك اللافتات تفصح عن ذلك . . ففي (يوسف في بئر البترول)[57] يقدم الشاعر لافتة قصيرة تجسد مأساة الشعوب العربية متمثلة في (يوسف) الذي يعيش الفقر ويقاسي الألم وعنده (بئر بترول) .

ولا تختلف لافتة (مأساة أعواد الثقاب)[58] عمّا سبقها ، فهو يتحدث عن حرية الشعوب والسلطة التي تحد منها .

أمّا في (ربّ ساعدهم علينا)[59] و (وصايا البغل المستنير)[60] فهو يقدم هجاء لاذعاً لرضوخ الشعوب العربية لحكامها وقبولها للذل وإن كان قد قدم ذلك في وصايا البغل المستنير على لسان(بغل) ليعمق حدة المأساة من خلال السخرية اللاذعة .

ويمكن أيضاً أن يقدم مطر عناوين من مثل : (قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن)[61] و (الطب يضر بصحتك)[62] وغيرها من العناوين التي شكلت لافتات صغيرة أراد من خلالها أن يعطي مضامين جديدة توحي بالثورة والتغيير وتحرض على المظاهرات الحاشدة .

الهوامـــــش

*- أحمد مطر ، شاعر عراقي ولد عام 1950 في قرية (التنومة) احدى نواحي شط العرب في البصرة ، بدأ يكتب الشعر مطلع الستينات ، مارس العمل السياسي مبكراً من خلال القائه قصائد تحريضية ضد السلطة دفع ثمنها أن لجأ إلى الكويت وهناك عمل محرراً أدبياً في جريدة القبس ، وفيها نشر أولى لافتاته الشعرية ، وتتكرر مأساة مطر فينفى من الكويت ليستقر عام 1986 في لندن ومن هناك يواصل كتابة لافتاته محرضا على الثورة والتغيير للواقع العربي .

1- جنة الشوك ، طه حسين / 16-17

**- يجد د.طه حسين أن هذا اللون من النظم لم يكن معروفاً في الأدب العربي والاسلامي ، بيد أنه ازدهر وظهر قوياً وخصباً في العراق ولاسيما في البصرة والكوفة ، وهو يذهب إلى أن هذا الفن ليس له اسماً واضحاً لكن له اسماً عند اليونان الذين اطلقوا عليه (ابيغراما) أي (نقش) ، ثم اخذ الشعراء الاوربيون هذه التسمية ليطلقوها على الشعر القصير الذي يقصد به النقد والهجاء ، ينظر جنة الشوك / 9-10-12

2- ينظر المصدر نفسه / 13- 14

3- معجم المورد ، منير البعلبكي / مادة : Epigram

4- معجم المصطلحات الادبية ، ابراهيم فتحي / مقطوعة ساخرة Epigram

5- المصدر نفسه

6- معجم المورد / مادة : Epigram

7- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية ، د. عز الدين اسماعيل / 251

8- المصدر نفسه / 252

9- ينظر ، المصدر نفسه / 250- 251

10- ديوان (دمعة للاسى ... دمعة للفرح) د. عز الدين المناصرة / 10

11- اشكاليات قصيدة النثر ، عز الدين المناصرة / 227

يفرق عز الدين المناصرة بين قصيدة اللافتة وقصيدة التوقيعة والتي سماها الكثير من النقاد بالقصيدة القصيرة ، إذ أنه اطلق مصطلح التوقيعة منتصف الستينات على القصيدة القصيرة ، وقد أخذه من اسم التوقيعات السياسية في العصر العباسي ، كما استوحاه من نمط (الهايكو الياباني) حين نظم قصيدة بعنوان (هايكو- تانكا) وفي رأيه أن قصيدة التوقيعة أكثر شعرية من اللافتة لأن قصيدة اللافتة في نظره انزياحاً أولياً عن لغة البرهان العقلي في حين أن التوقيعة انزياحات ، ينظر المصدر نفسه/168 ، 169،170

12- ينظر ، المصدر نفسه / 164

13- ينظر ، سمات الحداثة في الشعر العربي المعاصر ، د. حسن فتح الباب / 206

14- الحداثة في الشعر العربي المعاصر ادونيس انموذجاً ، سعيد بن زرقة / 248

15- معجم المصطلحات الأدبية / مادة : الشعر الخفيف Light verse

16- ديوان مطر / 31

17- ينظر ، حوار مع الشاعر للعالم ع 185 لندن 1987 / 53

18- المورد / مادة : epigram

19- ديوان مطر / 99

20- معجم المصطلحات الأدبية / مادة : خلاصة

21- ديوان مطر / 462

22- ينظر ، حكمة الظروف وظروف الحكمة ، عبد الرحمن بن اسماعيل / 245- 246

23- اشكاليات قصيدة النثر /137

احيانا يطلق عليها (لافتة الخلاصة) ويمكن أن يطلق عليها لافتة (عصارة الحكمة) ينظر المصدر نفسه / 143- 158

24- ديوان مطر / 181
25- اشكاليات قصيدة النثر / 108
26- ديوان مطر / 9
27- المصدر نفسه / 265
28- المصدر نفسه / 491
29- المصدر نفسه / 169-170
30- المصدر نفسه / 230
31- المصدر نفسه / 241- 242
32- المصدر نفسه / 145
33- الفكاهة في مصر ، شوقي ضيف / 13
34- سيكولوجية الفكاهة والضحك ، زكريا ابراهيم / 154
35- المصدر نفسه / 183
36- ديوان مطر / 11
37- ينظر ، الفكاهة في مصر / 15
38- ديوان مطر / 299
39- المصدر نفسه / 388
40- فنون الادب الشعبي ، رشدي صالح / 1: 111
*** لعل من أهم سمات قصيدة اللافتة هي ((الحرية المطلقة التي يتجاوز بها اصحابها حدود المألوف من السنن والعادات والتقاليد ، والتي تدفع اصحابها إلى الافحاش في اللفظ ، وإلى الافحاش في المعنى)) جنة الشوك ، طه حسين /16 ، وقد فطن احمد مطر لذلك واستخدم الكثير من ألفاظ الفحش والاقذاع في لافتاته كما في (ارادة الحياة)ديوان مطر /217 و(تعاون) ديوان مطر / 219 وغيرها كثير
41- ينظر ، جنة الشوك / 15-17
42- ديوان مطر / 284
43- جنة الشوك / 15
44- ديوان مطر / 271
45- شعرية الخبر ، فريال جبوري غزول ،مجلة فصول مج 16 ع 1 ،1997 / 192
46- المصدر نفسه / 194
47- ديوان مطر / 73
48- المصدر نفسه / 143
49- المصدر نفسه / 143
50- المصدر نفسه / 146
51- المصدر نفسه / 7
52- قصد الشاعر من رمزي النسور والدباب امريكا وروسيا .
53- ديوان مطر / 26
54- المصدر نفسه / 324
55- المصدر نفسه / 94
56- المصدر نفسه / 182
57- المصدر نفسه / 140
58- المصدر نفسه / 89
59- المصدر نفسه / 172
60- المصدر نفسه / 301
61- المصدر نفسه / 66
62- المصدر نفسه / 76

المصادر

1. اشكاليات قصيدة النثر نص مفتوح عابر للانواع ، عز الدين المناصرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 بيروت 2002
2. جنة الشوك ، طه حسين، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثامنة 1974
3. الحداثة في الشعر العربي ادونيس انموذجا ، سعيد بن زرقة ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، ط 1 بيروت 2004
4. ديوان احمد مطر ، الاعمال الشعرية الكاملة ، ط2 لندن 2003
5. ديوان دمعة للاسى .. دمعة للفرح ، د عز الدين اسماعيل ، الطبعة الاولى ، يناير 2000
6. سمات الحداثة في الشعر العربي المعاصر ، د حسن فتح الباب ، الهيأة المصرية العامة للكتاب 2007
7. سيكولوجية الفكاهة والضحك ، زكريا ابراهيم ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ،القاهرة (د . ت)
8. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د عز الدين اسماعيل، دار العودة ودار الثقافة، بيروت ط 3 ، 1981
9. الفكاهة في مصر ،شوقي ضيف ، كتاب الهلال ،سلسلة شهرية ، دار الهلال ع 83 ، 1958
10. فنون الادب الشعبي ، رشدي صالح ، دار الفكر ، القاهرة 1956
11. معجم المصطلحات الادبية ، ابراهيم فتحي ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، صفاقس ، تونس (د . ت)
12. معجم المورد ، قاموس انجليزي-عربي ،منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ط 40 ، 2006

الدوريات

- حكمة الظروف وظروف الحكمة ، عبد الرحمن اسماعيل ، مجلة علامات ج 37 مج 10 سبتمر 2000
- شعرية الخبر ، فريال جبوري غزول ، مجلة فصول مج 16 ع 1 ، 1997
- العالم ،حوار مع الشاعر ، ع 185 لندن 1987